الكتابة اللّسانيّة التّمهيديّة في الوطن العربيّ: بين الموضوع والمنهج والغاية.

Introductory linguistic writing in Arabic world: between subject, approach and purpose.

نصيرة قياسة
naciradoctora@gmail.com
جامعة باجي مختار-عنابة-

تاريخ الاستلام: 2020/12/07 تاريخ القبول: 2020/12/16 تاريخ النشر: 2021/01/01

ملخص:

واجهت اللغة العربية مع مطلع القرن العشرين مشكلة تلقي الوافد الغربي لاعتبارات عديدة، فكثرت الكتابات مما يدعي باللسانيات العربية واختلفت باختلاف المرجعيات وتعددها، إذ لا تكاد تخرج عن دراسة الموروث اللغوي العربي، أو عما أنتجه البحث اللساني الحديث أو عن استثمار النظريات الغربية في مساءلة كثير من قضايا اللغة العربية، حيث أدى تعدد المعايير التصنيفية إلى انقسام الكتابة اللسانية العربية على ثلاثة اتجاهات، بحسب الموضوع والمنهج والغاية.

كلمات مفتاحية: الكتابة، اللسانيات التمهيدية، الموضوع، المنهج، الغاية

Abstract:

At the beginning of the twentieth century, the Arabic language faced the problem of receiving the Western thought for many considerations. The writings of what is called (Arabic linguistics) were increased and differed according to the different references and their plurality, but those studies didn't go out of the Arab linguistic heritage, or from what was produced by modern linguistic researchs or from investing Western theories in questioning many Issues of the Arabic language, as the multiplicity of standards divided Arabic linguistic writings into three directions, according to subject, approach, and purpose.

Key words: writing, introductory linguistics, subject, approach, purpose.

1. مقدمة:

إنّ الحديث عن الكتابة اللّسانيّة التّمهيديّة في الوطن العربيّ يستدعي وقفة موجزة عن واقع اللّغة العربيّة، ومشكلاتها في العصر الحاضر، حيث واجهت مع مطلع القرن العشرين مشكلة تلقّي الوافد الغربي لاعتبارات عديدة، والمقصود بذلك اللّسانيات كونها علما جديدا وافدا على الثّقافة العربيّة، حيث مثّل مرحلة تحوّل في البحث اللّغوي عند العرب من العمل النّهضويّ الإحيائيّ إلى العمل اللّسانيّ المعاصر؛ فكثرت الكتابات ممّا يدعى ب" اللّسانيّات العربيّة "، واختلفت باختلاف المرجعيّات وتعدّدها، إذ لا تكاد تخرج عن دراسة الموروث اللّغويّ العربيّ، أو عمّا أنتجه البحث اللّسانيّ الحديث أو عن استثمار النّظريّات اللّسانيّة الغربيّة في مساءلة كثير من قضايا اللّغة العربيّة، وقد أدّى ذلك إلى توزّع الكتابة اللّسانيّة العربيّة على ثلاثة اتّجاهات أفضى إليها اعتماد معايير تصنيفيّة تمثّلت في نوع الموضوع، والمنهج المتّبع فيه، والأهداف الّتي تسعى لتحقيقها، حيث تختلف باختلاف الموضوع والمنهج:

– الكتابة اللّسانية التّراثيّة:

وهو اتّجاه منطو على التّراث، ومحافظ عليه، ومتمسّك بأصالته، ويرى أنّ الثّقافة الجديدة تستهدف القضاء على ثقافتنا وهوّيتنا وأصالتنا.

– الكتابة اللّسانيّة التّمهيديّة:

وهو اتّجاه منفتح على ثقافة الآخر، وعلى الدّرس اللّسانيّ الغربيّ بنظرياته، ومفاهيمه، ومصطلحاته، ومناهجه، وأدواته الإجرائيّة، محاولا الاستفادة من هذه النّماذج اللّسانيّة، وتطبيقها في الواقع على اللّغة العربيّة.

– الكتابة اللّسانيّة المتخصّصة:

وهو اتّجاه يقف موقفا وسطيا بين اتّخاذه للمادة اللّغويّة التّراثيّة موضوعا، ومن مناهج اللّسانيّات الحديثة منهجا، وذلك بالبحث في التّراث، وإعادة قراءته؛ باستغلال آليات إجرائيّة حديثة، والغاية من كلّ ذلك هي إثبات الأسبقيّة للتّراث اللّغويّ العربيّ.

وعليه فإنّ هذه المداخلة تسلّط الضّوء على الاتّجاه الثّاني الموسوم ب" الكتابة اللّسانيّة التّمهيديّة"، من حيث موضوعها، ومنهجها، والغاية الّتي ترمي إليها من وراء ذلك.

2 – الكتابة اللّسانيّة العربيّة التّمهيديّة:

لقد ظهرت اللّسانيّات التّمهيديّة بعدما احتكّ طلاّب البعثات العلميّة بالدّراسات اللّسانيّة الغربيّة الحديثة في الخارج، حيث « فُتح المجال أمامهم لكشف أسرار هذا العلم، وأخذه من منابعه الأصليّة، ولاسيّما بعد عودة هؤلاء الطّلبة إلى مواطنهم ابتغاء التّعريف بهذا العلم، وتقديمه للقارئ العربيّ»[1]، وقد كان ذلك منطلقا للتّفكير في كيفيّة تقريب هذه المعرفة اللّسانيّة العلميّة الوافدة من ذهن القارئ العربيّ، وبداية لتشكّل الخطاب اللّسانيّ التّمهيديّ كذلك في الوطن العربيّ، وامتزاج المعرفة اللّسانيّة الغربيّة بالثّقافة اللّغويّة العربيّة، وقد كان الباحث " علي عبد الواحد وافي " خير ممثّل لهذا الاتّجاه في بدايته من خلال مؤلّفه "علم اللّغة " سنة 1940، والّذي يعدُّ ثمرة التّلاقح بين ثقافتين مختلفتين غربيّة وعربيّة، بحث من خلاله في نشأة اللّغة وما يتعلّق بها، وتبعه في ذلك العديد من المؤلّفين في الاتّجاه ذاته، في دراسة اللّغة، والتّعريف بعلم اللّغة الغربيّ بمدارسه، ونظريّاته، خاصّة وأنّ «تقديم النّظريّة الغربيّة قد شكّل هاجسا ملحّا على اللّسانيّين العرب»[2]، ومن بينهم الباحث " تمّام حسّان " في كتابه "مناهج البحث في اللّغة" سنة 1955، وأتبعه بكتاب آخر عنونه ب " اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة " ثمّ " اللّغة العربيّة معناها ومبناها"، حيث يظهر جليّا من عناوين مؤلّفاته أنّه تطوّر في جهوده اللّغوية من اتّجاه لآخر، حيث بدأ تمهيديّا ثمّ ما بين البحث اللّسانيّ الغربيّ، والتّراث اللّغويّ العربيّ، ثمّ حاول التّركيز على اللّغة العربيّة باعتبارها موضوعا للبحث، وهو ما يُفْتَرض أن يكون؛ أي الاستفادة من الآخر بغرض التّوظيف والتّغيير.

إنّ هؤلاء الباحثين قد زوّدوا البحث اللّغويّ العربيّ بنظرة جديدة حتّى تنحو دراسة اللّغة منحى علميّا موضوعيّا بعيدا عن الذّهنيّة العربيّة، وما انجرّ عنها من تمسّك غير موضوعيّ بالتّراث اللّغويّ، ورفض لكلّ ما استجدّ على صعيد البحث اللّسانيّ الغربيّ

الحديث وذلك بدخول اللّسانيات رحاب الثّقافة العربيّة بعد أن نشأت في أحضان الثّقافة الغربيّة، حيث شكّل الوافد الغربيّ مشكلة لاعتبارات عديدة منها القداسة الّتي اكتسبها الكمّ الهائل من التّراث اللّغويّ العربيّ الّذي خلّفه القدماء حتّى قيل إنّهم « قد أتوا كلّيا على لغتهم جمعا وتمحيصا ثمّ دراسة وتنظيما حتّى غدت علومهم في اللّغة مجرى الاكتمال»[3]؛ فهذا التّمسّك غير الموضوعيّ بالتّراث أجحف في حقّ البحث اللّسانيّ الحديث، خاصّة وأنّهم يؤمنون بأنّ « التّقدّمات العلميّة الكبرى لم تكن نتائج اكتشاف أحداث جديدة، ولكن نتاج طريقة جديدة للتّفكير، وإعادة تشكيل الأحداث المعروفة. »[4]

وتنطلق الكتابة اللّسانيّة التّمهيديّة من تصوّر معيّن لمستوى القارئ العربيّ، ويتلخّص عموما في كونها ناقلة لمعرفة علميّة غربيّة غريبة عنه، وبالتّالي هي معرفة موجّهة لقارئ يجهل مفاهيم العلم وأصوله، ومنطلقاته، فيجد نفسه مضطرّا لفهمه والوقوف على مبادئه من خلال المؤلّفات اللّسانيّة العربيّة الّتي تمهّد لظهور هذا العلم، أو إلى قارئ مبتدئ حديث العهد بهذا التّخصّص له بعض المفاهيم الأوّلية، أو أنّه يسعى لفهمه، حتّى يتمكّن من توظيفه في تخصّصات أخرى، ولا فرق بين هؤلاء القرّاء في نظر التّمهيديّين، بالرّغم من أن بعض الكتابات التّمهيديّة تشير في مقدّمة المؤلّف إلى طبيعة القارئ اللّسانيّ التّمهيديّ، ومستواه الثّقافيّ من قبيل المؤلّف اللّسانيّ التّمهيديّ ل " عبد السّلام المسدّي"، وعنوانه " اللّسانيّات وأسسها المعرفيّة " سنة 1986، حيث أشار في تقديمه للمؤلّف إلى نوعيّة القارئ المستهدف، والموضوع الّذي يسعى لمعالجته من خلال هذا العنوان، ويتجلّى ذلك في قوله: « أنّ المنهج المتوخّى يزاوج في غير اعتدال بين تقديم المضامين اللّسانيّة لمن لم تطل عشرته لهذا العلم المتنامي، والبحث عن الأصول الأوّليّة: من دعائم ذهنيّة، وضوابط منهجيّة، ومصادرات استدلاليّة، واستثمارات نفعيّة، وفي كلّ ذلك تتجمّع " الأسس المعرفيّة " الّتي ننشد استكناهها »[5]؛ معنى ذلك أنّ مؤلّفه يستهدف المتلقّي الّذي لم يطّلع بعد على مبادئ اللّسانيّات الغربيّة، وممّا يزيد من صحّة هذا القول أيضا ما يحمله عنوان الكتاب من دلالة، حيث عني بتقديم الأسس المعرفيّة الّتي انبنت عليها المعرفة اللّسانية الغربيّة بعد أن فصل في عقبات البحث اللّساني العربيّ، وأشار إلى تخلّف

الفكر العربيّ في مجال اللّسانيّات في قوله: « يلاحظ باستغراب وحيرة تخلّف ركب الفكر العربيّ في حلبة علوم اللّسان، وقد كان يهون أن نبقى مقصّرين في ميدان وضع النّظريّات اللّسانيّة، وابتكار المناهج الاختباريّة فيها لو أنّنا على الأقل قد نشطنا إلى توفير الثّقافة اللّسانيّة في جامعاتنا ومؤسّساتنا العلميّة»[6]؛وهي الغاية من تأليف الكتاب.

ويعضّد هذا الكلام أيضا قوله: « قد آثرنا أن يكون تبصرة بواقع البحث اللّسانيّ في الوطن العربيّ، وهو نمط من البحث يمثّل ... عتبة الإشكال المعرفيّ »[7]؛ حيث إنّ أبرز عقبة واجهت البحث اللّسانيّ العربيّ الحديث حسب رأيه تكمن في عدم تيسّر الاطّلاع على حقائق علوم اللّسان في العصر الحديث، بحيث نتمكّن من « دراسة اللّغة من حيث هي معطى بشريّ وظاهرة كونيّة وهو منطلق البحث الأساسيّ فيما يسمّى باللّسانيّات النّظريّة أو العامّة »[8]؛ والّتي تتّخذ من الوصف منهجا بتتبّعها للظّاهرة اللّغوية من خلال مكوّناتها وجزئيّاتها والمتمثّلة في مستوياتها اللّغويّة.

ومن أسس اللّسانيّات المعرفيّة الّتي وقف عليها هذا الباحث " جدليّة العلم والموضوع "، و" علاقة الفكر باللّغة "، و" مفهوم البنية اللّسانية "، و" ومفهوم المواضعة والاصطلاح " ،و" تعريف الظّاهرة اللّغويّة "؛ والّتي تقوم على مفهوم " العلامة " إذ بنيت على " اعتباطيّة العلاقة " بين " الدّال " و" المدلول "، حيث عرّف اللّغة على أنّها « مجموعة من العلاقات تترابط فيما بينها ترابطا عضويا»[9]، علاوة على أنّ اللّغة « مجموعة من العلاقات الثّنائيّة القائمة بين جملة العلامات المكوّنة لرصيد اللّغة ذاتها، وعندئذ نستسيغ أيضا ما دأب عليه اللّسانيّون من تعريف العلامة؛ بأنّها تشكّل لا يستمدّ قيمته ولا دلالته من ذاته؛ وإنّما يستمدّهما من طبيعة العلاقات القائمة بينه وبين سائر العلامات الأخرى »[10]، إلى غير ذلك من القضايا أو الأسس المعرفيّة اللّسانيّة.

وعن طبيعة القارئ يقول الباحث " مصطفى غلفان " أيضا :« إنّ تحديد طبيعة القارئ المتلقّي سواء من حيث نوعيّة ثقافته العامّة أو من حيث مستواه المعرفيّ في مجال البحث اللّغويّ، يلعب...دورا كبيرا في مدى تحقيق المهمّة الملقاة على هذا الضّرب من الكتابة»[11]،

وهنا يحقّ للباحث أن يتساءل، ما الموضوع الّذي تعنى به هذه الكتابات؟ وما المهمّة الملقاة على عاتقها؟ وما السّبيل الّذي تسلكه لتحقيق مرادها؟

وللإجابة عن هذه التّساؤلات ينبغي أوّلا أن نقف عند بعض المصطلحات؛ وهي الموضوع، والمنهج، والغاية.

– الموضوع:

وهو الموضوع محلّ الاهتمام الّذي تشتغل عليه معرفة معيّنة، أو« المادّة الّتي يبحث فيها أو يشتغل بها»[12]، وينقسم الموضوع في الكتابة اللّسانيّة العربيّة المعاصرة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: يهتمّ المؤلّف اللّسانيّ بالنّظريّات اللّسانيّة، من حيث هي مبادئ ومفاهيم نظريّة، ومناهج، وأعلام، وكلّ ما يتعلّق بها.

القسم الثّاني: يتّخذ من التّراث اللّغويّ العربيّ القديم موضوعا ويجعله مطيّة لإثبات أصالته، وتصوّراته، ومفاهيمه.

القسم الثّالث: يتّخذ من اللّغة العربيّة الفصحى موضوعا، وغاية.

– المنهج:

وهو السّبيل الّذي يتّبعه الباحث لتحقيق غاية ما، ووجهة نظره في موضوع بحثه، ويختلف هو الآخر بحسب اختلاف موضوع الدّراسة في الكتابة اللّسانيّة العربيّة المعاصرة: منهج تعليميّ تبسيطيّ، منهج القراءة أو إعادة القراءة، مناهج علميّة مختلفة ظهرت مع اللّسانيّات، من قبيل المنهج التّاريخيّ، والمنهج الوصفيّ...

– الغاية:

وهي الغاية الّتي يرمي إليها الباحث، ويسعى لتحقيقها من خلال خطابه اللّسانيّ، وتختلف أيضا بحسب اختلاف الموضوع، والمنهج، فنجدها تبسيطيّة تارة وتوفيقيّة تارة أخرى، أو وصفيّة تفسيريّة لظواهر اللّغة العربيّة.

3 – اللّسانيّات التّمهيديّة: بين الموضوع، والمنهج، والغاية.

3-1- موضوعها:

لقد انفتح أصحاب الكتابة اللّسانيّة التّمهيديّة على ثقافة الآخر، وعلى الدّرس اللّسانيّ الغربيّ بنظرياته، ومفاهيمه، ومصطلحاته، ومناهجه، وأدواته الإجرائيّة، واتّجاهاته، وأعلامه، محاولين الاستفادة من هذه النّتائج اللّسانية وتطبيقها في الواقع على اللّغة العربيّة؛ حيث يرون « أن من أطرف النّتائج الضّمنيّة والصّريحة الّتي خلصت إليها بعض الدّراسات الّتي وضعت التّراث على محكّ المناهج المستحدثة في ضوء حركة تنظير لسانيّ ومنهجيّ واسعة تميّزت بالثّراء والجدّة أنّ التّراث اللّغويّ العربيّ نضج حتّى احترق واستنفذ كلّ ما لديه وأنّ الدّرس اللّسانيّ لم يعد في حاجة إلى الخطاب اللّغويّ التّقليديّ، ولا إلى النّظريّة اللّغوية القديمة، فهي تشكّل في نظرهم منظومة مرجعيّة نشأت في زمان غير زماننا، وفي سياق حضاريّ معيّن ومناخ فكريّ خاصّ بالثّقافة العربيّة الإسلاميّة القديمة»[13]، وعلى هذا الأساس يتجلّى موضوع البحث الّذي يعنى به باحثو اللّسانيّات التّمهيديّة؛ حيث « يتشكّل موضوع الكتابة اللّسانيّة التّمهيديّة أو التّبسيطيّة ممّا تقدّمه النّظريّات اللّسانيّة الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللّغة البشريّة بصفة عامّة »[14]، وهو ما تعبّر عنه الكتابات التّمهيديّة من خلال عنوان المؤلّف أو فصل من فصوله، وقد اختلفت في مصطلحاتها الدّالة على هذا التّوجه، واتّفقت في مقصودها، وهو ما عبّر عنه الباحث المغربيّ " حافظ اسماعيلي علوي " في كتابه " اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة المعاصرة، دراسة تحليلية نقديّة في قضايا التّلقي وإشكالاته"، بقوله: « أنّ رصيدنا المصطلحيّ في مجال اللّسانيّات يبدو ضربا من الأهواء النّابعة من الميول والابتكار الشّخصيّ الّذي لا يتقيّد بمنهجيّة علميّة دقيقة »[15]، ومن ذلك نذكر:

- مصطلح " المداخل التّأسيسيّة " :

وإنّ من يتأمّل العنوان يتبدّى له أنّ المؤلّف يحاول أن يؤسّس لمبادئ نظريّة أساسة للّسانيّات الغربيّة في الوطن العربي.

– مصطلح " تقديم النّظريّة اللّسانيّة الغربيّة ":

وهو ما وظّفته الباحثة " فاطمة الهاشمي بكّوش " للتّعبير عن مفهوم اللّسانيّات التّمهيديّة في كتابها " نشأة الدّرس اللّسانيّ "، حيث يظهر من المصطلح موضوع المعرفة اللّسانيّة المقدّمة، وغايتها.

- أما مصطلحَيْ " اللّسانيّات التّيسيريّة " أو " التّبسيطيّة ":

فوظّفهما الباحث " حافظ اسماعيلي علوي " ليعبّر بهما عن مفهوم " اللّسانيّات التّمهيديّة"، بغضّ النّظر عمّا يحمله المصطلحين من اختلاف مفهوميّ، ومثل ذلك من عنون مؤلّفه بالمدارس اللّسانيّة...إلخ

وقد اعتمدت المصطلح الشّائع بينهم " اللّسانيّات التّمهيديّة "، حيث فصلت الباحثة " نعيمة قوري " في قضية المصطلح في هذا النّوع من الكتابة، وتوصّلت إلى أنّه «مصطلح جامع مانع للأسس الّتي ينبني عليها هذا الاتّجاه، وذلك على النّحو الآتي:

- المادّة: والّتي يشير إليها مصطلح اللّسانيّات، والّذي يمثّل الموضوع أو المادة الّتي تقوم عليها اللّسانيّات التّمهيديّة .

– المنهج والغاية: والّذي يمكن استنتاجهما من كلمة " تمهيديّة " وما يتطلّبه التّمهيد للشّيء من توخّي التّدرج، والتّبسيط، والشّرح وضرب الأمثلة التّوضيحيّة؛ لأنّ من يقوم بهذه العمليّة ينطلق من فكرة مفادها أنّ ما يقدّم في هذه المرحلة الحرجة سيكون الأساس الّذي يبنى عليه الطّرف المستهدف حصيلته المعرفيّة اللاّحقة، فإذا ما أحكم ضبطها، فإنّ ذلك سيؤدّي لا محالة إلى فهمها واستيعابها بطريقة جيّدة ... كما أنّ هذا المصطلح يتضمّن الشّروط الأساسة للمصطلح من دقّة ووضوح واقتصاد لغويّ.»[16]

ويندرج ضمن هذه الكتابة عناوين من قبيل " مبادئ في اللّسانيّات العامّة "، " محاضرات في اللّسانيّات العامّة "، " المدارس اللّسانيّة الحديثة " مدخل إلى علم اللّسان الحديث "، " علم اللّغة الحديث "، " مدخل إلى علم اللغة " ...

خلاصة هذه المؤلّفات أنّها تتّخذ من النّظريّات اللّسانيّة الغربيّة موضوعا لدراستها اللّسانيّة، وتحاول تتّبع مسارها في منبتها الأوّل، حيث تقوم ب « تعريف القارئ المبتدئ باللّسانيّات بالاعتماد على أسلوب مبسّط لتشكيل معرفة لسانيّة تؤهّله لاحقا للمباشرة في

تناول قضايا لسانيّة أكثر عمقا، فهي الأرضيّة القاعديّة، والأسس الّتي يبني عليها القارئ المبتدئ أو قليل الخبرة في هذا المجال معرفته اللّسانية. »[17]

إنّ واقع هذه الكتابة في الوطن العربيّ ينمّ عن دراسات، وبحوث تتميّز بالعموم في معظمها، إذ لم تحاول البحث في حيثيات النّظريّة اللّسانيّة الغربيّة، ومنطلقاتها الدّقيقة، ومبادئها، بينما اكتفت بدراسة اللّغة في سياقيْها التّاريخيّ والحضاريّ، ما عدا بعض المؤلّفات الّتي ركّزت على بعض دقائق اللّسانيّات الغربيّة، من قبيل ما قام به الباحث " حماسة محمد عبد اللّطيف " من اهتمام بمستويات التّحليل اللّسانيّ من صوت وصرف ونحو ودلالة، حيث ركّز على مستويَيْ النّحو والدّلالة (القاهرة 1983)، وما نجده عند الباحث " محمد حسين عبد العزيز " في كتابه " مدخل اللّغة " ب (القاهرة 1988)، من تركيز على " مفهوم اللّغة "، و" مفهوم الجملة ".

فقد سطّرت لنفسها موضوعا هو دراسة اللّغة لذاتها ومن أجل ذاتها كما رأى " فرديناند دي سوسير " في كتابه " محاضرات في اللّسانيات العامّة "؛ أي هي المنطلق، والهدف في الآن ذاته، ودخلت غمار البحث اللّساني متخطّية بذلك تفاصيل هذا المبدأ، وما يتعلّق به من مبادئ وتحديد طبيعة مجال الدّراسة في هاته الحال. وهناك مؤلّفات اهتمّت بمدرسة لسانيّة بعينها كما فعل الباحث " أحمد المتوكّل " في مؤلّفه التّمهيديّ التّبسيطيّ الّذي حاول من خلاله تقريب الاتّجاه الوظيفيّ في اللّسانيّات من ذهن القارئ العربيّ، موسوم ب " اللّسانيّات الوظيفيّة: مدخل نظري "، وذلك سنة (1989 بالمغرب) .

اعتمدت الكتابة اللّسانيّة التّمهيديّة في تقديمها لمبادئ اللّسانيّات وأصولها للمتلقّي العربيّ على أمثلة لسانيّة عربيّة تتميّز بالبساطة، ولكنّها تقلّل من إمكانيّة تعميمها؛ ذلك أنّها تطرح في معظمها إشكالات أخرى، كما اعتمدت على الأمثلة الغربيّة؛ والّتي لا تمتّ بصلة للّغة العربيّة، ممّا يقلّل من كفاءتها كذلك؛ بحيث لا يمكن ربط الأمثلة التّطبيقيّة في اللّغتين الفرنسيّة أو الانجليزيّة بواقع اللّغة العربيّة لاختلاف الثّقافات والمشارب

والخصوصيّات بين اللّغات، فما تقدّمه معظم الكتابات التّمهيديّة لا يعدو أن يكون عرضا نظريّا لواقع غير الواقع الّذي تعيشه اللّغة العربيّة .

2-3- منهجها:

إنّ منهج تقديم الكتابة اللّسانيّة العربيّة التّمهيديّة للقارئ العربيّ بشكل مبسّط، حتّى يتمكّن من بعض أساسيّات العلم ومبادئه، منهج تعليميّ تربويّ يقوم « على التّوضيح، والبيان، والشّرح، وما يتطلّبه كلّ ذلك من وسائل مساعدة كالأمثلة والرّسوم البيانيّة، وتروم هذه الكتابة تقديم اللّسانيّات، ومفاهيمها النّظريّة والمنهجيّة بشكل مبسّط قصد تيسير المعرفة اللّسانيّة للقارئ العربيّ سواء كان مبتدئا يلج عالم التّخصّص أو قارئا ينشد التّسلّح باللّسانيّات للاستفادة منها في مجالات فكريّة أخرى من فكر عربيّ أو نقد أدبيّ أو تاريخ أو ما شابه ذلك .»[18]

إنّ هذا النّوع من الكتابة اللّسانيّة هو بمثابة اللّبنة الأولى لتشكّل خطاب لسانيّ في الوطن العربيّ؛ حيث « يمثّل أولى خطوات الالتقاء بين اللّسانيّات بعدها علما غربيّا، والثّقافة العربيّة باعتبارها متقبّلة لهذه المعرفة اللّغوية، إذ يمكن اعتبارها المرحلة الجينيّة الأولى من حياة اللّسانيّات في الوطن العربيّ، وعلى هذا الأساس يتمّ إحداث مجموعة من التّحوّلات والتّعديلات حتّى يصبح هذا المحتوى العلميّ قابلا للتّقديم لشريحة محدّدة »[19] وباعتبار اللّسانيّات معرفة لسانيّة علميّة، وكلّ علم له جانبان، جانب نظري، وآخر إجرائيّ، فيتمثّل النّظريّ في كونه يبنى على شروط معيّنة تتمثّل في مادة العلم وموضوعه ومصطلحاته، ويتمثّل الإجرائي في تحديد المنهج المتّبع أو وجهة النّظر المعتمدة في البحث اللّساني، بحيث يتمكّن الباحث من اعتماد طريقة واضحة ومضبوطة تحقّق له أهمّ مبدإ يحتاج إليه العلم، وهو التزام الموضوعيّة فيه، وتكمن مهمّة الكتابة اللّسانيّة التّمهيديّة العربيّة في اطّلاع القارئ اللّسانيّ العربيّ على أسس التّحليل اللّسانيّ ومنهجياته المتّبعة، حتّى يستفيد علماء العربيّة من هاته المناهج.

وإنّ الباحث في المؤلّفات التّمهيديّة يتوصّل إلى أنّ جلّها يعتمد المنهج الوصفيّ أساسا لدراسته بالرّغم من أنّها « لم تعمل على تقديم المنهجيّة المتّبعة في هذا الاتّجاه من

الدّرس اللّسانيّ »[20]، إلاّ أنّ هذه المعرفة اللّسانيّة لها بعض المهارات التّبسيطيّة الّتي اتّبعها جلّ الباحثين في هذا النّوع من الكتابة.

مهارات تبسيط المعرفة العلميّة:

وقد ذكرها الباحث " مصطفى غلفان " في كتابه "اللّسانيّات العربيّة الحديثة "، ورتّبها على النّحو:

أ – على الباحث أن يكون ملمّا بتفاصيل هذه المعرفة المراد تبسيطها نظريّا، وتطبيقيّا.

ب– تحديد نوعيّة القارئ وقدراته الفكريّة والثّقافيّة.

ج – ربط المحتوى المعرفيّ المبسّط بالواقع المعاش للّغة العربيّة وإشكالاتها.

4 – غايتها:

تحاول اللّسانيّات التّمهيديّة تزويد القارئ العربيّ برصيد كاف لمفاهيم اللّسانيّات العامّة، ومبادئها، ونظريّاتها، ومنطلقاتها، خاصّة مع تدنّي مستوى المتلقّي في هذا التّخصّص، وهكذا « يصبح هدف الكتابة اللّسانيّة التّمهيديّة الأساس سدّ الفراغ الّذي يتركه انعدام المؤلّفات المدرسيّة في اللّسانيّات العامّة »[21]، فتسهم هذه الكتابة في نشر المعرفة اللّسانيّة الغربيّة في الوطن العربي، فتكون بذلك غايتها « تيسير المعرفة وتقريبها من ذهن القارئ العربيّ، سواء كان قارئا عاديّا أم له معرفة نسبيّة باللّسانيّات .»[22] وهو ما ورد في مقدّمة المؤلّف الجزائري التّمهيديّ " دروس ومحاضرات في اللّسانيّات العامّة " للباحث نصر الدّين زرّوق ":« إنّ هذا الكتاب هو محاولة لتبسيط مفاهيم هذا العلم بصفة خاصة، وهو في الواقع كتاب تعليميّ أعدّ لطلبة اللّيسانس قسم اللّغة العربيّة ويضمّ بين دفّتيه مجموعة من المحاضرات والدّروس تتناول بالدّراسة هذا العلم من جميع مستوياته الصّوتية والصّرفية والتّركيبية والدّلالية .»[23] ويواصل حديثه مؤكّدا لما سبق في المقدّمة ذاتها: « كما حاولنا الابتعاد عن الغموض، والضّبابية اللّتين كثيرا ما يوسم بهما هذا النّوع من الدّراسة، وحرصنا على استعمال المصطلحات ذات الاستعمال الواسع،

والمتّفق عليها بين معظم هذا التّخصص وعملنا عند استعمال كلّ منها على شرحها بطريقة مبسّطة، وذلك من أجل تمكين القارئ من فهم دقيق للمسائل المطروحة، والقضايا المدروسة.»[24] ومثل ذلك ما ورد في المؤلّف التّمهيديّ "محاضرات في اللّسانيّات العامّة والتّاريخية "،للباحث " زبير درّاقي " حيث قال في مقدّمة كتابه: « ولم نحاول أبدا التّقصير، ولا الانفلات من أيّة صعوبة كانت ...بل عملنا على توضيح ما غمض، وتبسيط ما استعصى أو استصعب من مفاهيم، ومصطلحات؛ حتى تكتمل الرّؤية، وتتّضح الأفكار، ويستقيم الفهم لدى طلاّبنا.»[25]

وتسعى هذه الجهود إلى تبسيط المعرفة اللّسانيّة الغربيّة في نظر المتلقّي العربيّ، وتقريبها منه بغضّ النّظر عن مستواه الثّقافي، بالإضافة إلى تعريفه بمبادئ اللّسانيّات ومناهجها واتّجاهاتها؛ حيث إنّ القارئ العربيّ في حاجة ماسة لمثل هذه المؤلّفات الّتي تقدّم اللّسانيّات في العالم العربيّ، على أن تكون مؤلّفات تواكب التّطوّرات الّتي تطرأ على البحث اللّسانيّ من ناحية، وتتوفّر على تقنيات التّحليل اللّسانيّ الواضحة؛ ليتوسّل بها في بحوثه العلميّة المستقبليّة من ناحية أخرى، ومنه فإنّ اللّسانيّات التّمهيديّة تروم تحقيق هدفين :

هدف قريب : يتمثّل في تبسيط اللّسانيّات بتقديمها في صورة تعليميّة بسيطة؛ حتّى يتسنّى للباحث العربيّ الاطّلاع على مبادئها، ونظريّاتها، ومدارسها .

هدف بعيد : ضرورة الاطّلاع على الوافد اللّسانيّ الغربيّ، ببعديه المعرفيّ، والمنهجيّ لدى المتلقّي العربيّ، بغرض توظيف ما يطّلع عليه، وتسخيره لخدمة اللّغة العربيّة .

كما تهدف بعض الكتابات في المجال اللّسانيّ التّمهيديّ إلى الحدّ من الارتباط غير الموضوعيّ بين الباحث اللّسانيّ العربيّ، والتّراث اللّغويّ العربيّ، وعدم تقبّله للآخر بسبب ذلك.

5- خاتمة:

صحيح أنّ الكتابة اللّسانيّة العربيّة التّمهيديّة معرفة علميّة مبسّطة مقدّمة للقارئ العربيّ، الّذي لم يتسنّ له الاطّلاع بعد على حيثيات العلم وتفاصيله، إلاّ أنّها لم تلجأ في

معظم مؤلّفاتها إلى المنابع الأولى، والمصادر الّتي تقدّم اللّسانيّات بمبادئها، وأسسها ومناهجها، وأعلامها بشكل كاف ممّا نتج عنه تشكّل خطاب لسانيّ عربيّ تمهيديّ غامض في معظمه، وغير واضح للمتلقّي؛ حتّى يتمكّن من استثمار معطياته في تقديم دراسة وصفيّة تشمل اللّغة العربيّة بمستوياتها اللّسانيّة، وضبط ظواهرها ،كما أنّها لم تواكب التّطور الحاصل في سيرورة البحث اللّسانيّ الغربيّ، حيث اقتصرت على اطّلاع الباحث اللّسانيّ العربيّ في أغلب المؤلّفات التّيسيريّة على المنهج الوصفي، وعلى اللّسانيّات السّوسيريّة إلا ما ندر منها، فأين المؤلّفات التّمهيديّة الّتي تعنى بالنّظريّات اللاّحقة، والمناهج الّتي سايرتها حتّى يطّلع الباحث اللسانيّ العربيّ على ما استجدّ على صعيد البحث اللّسانيّ الغربيّ الحديث؟ وهو واقع إن دلّ فإنّما يدلّ على أنّ اللّسانيّات بعدّها علمًا قائما بذاته يدرس الظّاهرة اللّغويّة بشكل موضوعيّ منظّم، لم تثبّت أقدامها بعد في الوطن العربيّ، وهو ما ذهب إليه الباحث " حافظ اسماعيلي علوي "، في مؤلّفه " اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة المعاصرة "، ومنه توجّب على المؤلّفات اللّسانيّة العربيّة التّمهيديّة أن تحاول قدر المستطاع الإلمام بالنّظريّات اللّسانيّة الغربيّة الحديثة، وبحيثياتها، وتفاصيلها.

6. هوامش البحث:

[1]- نعيمة قوري: الدّرس اللّساني في الجزائر، دراسة في المداخل التّأسيسيّة، أطروحة ماجستير، جامعة باجي مختار، 2014، عنّابة، ص: 31 .

[2]- فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدّرس اللّساني، دراسة في النّشاط اللّساني العربي، ابتراك للنشر، والتوزيع، القاهرة، ط1، 1986، ص: 24.

[3]- عبد السّلام المسدّي: اللّسانيّات وأسسها المعرفيّة، الدّار التّونسية للنّشر، أوت 1986، تونس، ص: 12 - 13

[4]- عبد السّلام شقروش: البحث اللّساني العربي بين المرجعية التّراثية والإجرائية الحداثية، مقال منشور ضمن مجلّة اللّسانيات واللّغة، منشورات مخبر اللّسانيات واللّغة العربية، قسم اللغة العربية وآدابها، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، باجي مختار، جوان ، 2007، ص: 47

[5]- عبد السّلام المسدّي: اللّسانيات وأسسها المعرفيّة، ص: 7

[6]- عبد السّلام المسدّي: اللّسانيّات وأسسها المعرفيّة، ص: 11

[7]- عبد السّلام المسدّي: المرجع نفسه، ص: 7.

[8]- عبد السّلام المسدّي: المرجع نفسه، ص: 10.

[9]- عبد السّلام المسدّي: المرجع نفسه، ص: 30

[10]- عبد السّلام المسدّي: المرجع نفسه، ص: 30.

[11]- مصطفى غلفان: اللّسانيّات العربيّة الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النّظرية، جامعة الحسن الثاني، عين الشّق، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات ، ص: 101.

[12]- مصطفى غلفان: اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ص:

[13]- محمد صاري: قراءة في الكتابة اللّسانية العربية الحديثة، مجلة اللّغة العربيّة وآدابها، المملكة الأردنية الهاشمية، المجلّد4، ع4، شوّال، 1429، تشرين الأوّل، 2008، ص:182.

[14]- مصطفى غلفان: اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ص: 90

[15]- حافظ اسماعيلي علوي: اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، 2009، ط1، ص: 83

[16]- نعيمة قوري: الدّرس اللّساني في الجزائر، ص: 30.

[17]- نعيمة قوري: المرجع نفسه، ص: 28.

[18]- مصطفى غلفان: اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ص: 91.

[19]- نعيمة قوري: الدّرس اللّساني في الجزائر، ص: 33

[20]- مصطفى غلفان: اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ص: 114

[21]- مصطفى غلفان: اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ص: 104

[22]- مصطفى غلفان: اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ص: 101

[23]- نصر الدّين بن زرّوق: دروس ومحاضرات في اللّسانيات العامّة ، مؤسّسة كنوز الحكمة للنّشر، والتّوزيع، الجزائر، 2011، ص:3

[24]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[25]- زبير درّاقي: محاضرات في اللّسانيات العامّة والتّاريخية، مؤسّسة كنوز الحكمة للنّشر، والتّوزيع، الجزائر،1990، ص: 4.